المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان
اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ
من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه
الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة
على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب
عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل
يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او لا يترجح عندك البذل على الامساك
فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون
سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا
منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوفة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع
النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من
الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا
الصراط في الاخرة وقلما ينفك العبد عن ميل من الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد
الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار
وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين
كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله
تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين اذ اوجب الفاتحة في كل
ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني
هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء
السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة
الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولن تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق
الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد على الترتيب
بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في اعينهم فمن

٢٥
اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس
مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا
شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق
علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا
وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة
والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ
اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه
فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار
وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول
انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من اثار النفاق فهو على
جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم
اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس
بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي اعتزل عن الناس
فقيل له لم لا تخالط فقال ما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا
لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا
ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا
منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما
نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان تدوم
بعد الموت ابد الاباد او الاف من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل
بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة
معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها الذنوب
واصل ذلك كله ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان
يستفيد عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان
بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه
عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو

Copyright © King Saud University